أمثلة من الترجمة

Ulrich Peltzer

Das Bessere Leben

S. Fischer Verlag 2015

ISBN: 978-3-1006-0805-5
صفحات 7-19

أولريش بلتسر

الحياة الأفضل

ترجمة: نبيل الحفار

© 2016 Litrix.de

اولْريش پلْتسَر

"الحياة الأفضل"

1

انتفض معتدلًا. العتمة تحيط به، لا صوت سوى تنفسه. هذه الفرقعة عندما انهار سقف البرّاكة، دخان حارق، برق، أحمر وأزرق، فوق رؤوس الحشد الزاعق. لاهثًا حرّر سيلفِستر لي فلِمينغ نفسه من الغطاء المنفتل وحكّ رقبته. منذ أيام، منذ وصوله إلى ساو پاولو يجري الأمر بهذه الصورة، بالأمس (كان هذا بالأمس حتمًا، أليس كذلك؟) الصدامات مع الشرطة في شارع نورث ووتر، ثم توجه الجميع ركضًا نحو مركز المدينة، حجارة تتطاير على واجهات المحلات، حاويات الزبالة تشتعل، وطوال الوقت هتافات جماعية وصرخات ... Stop this war، أوقفوا هذه الحرب.

مد فلمينغ يده متلمسًا مفتاح نور الأباجورة الموضوعة على المنضدة إلى جانب السرير. ضوء حريري أصفر سقط على المجلة التي كان يقرأها قبل النوم (نيوزويك[1]). في عمق الغرفة بين الكنبة والمقعدين انسكب نصف زجاجة بيرة، ماركة القطب الجنوبي (أنتاركتيكا[2]). الستائر الطويلة حتى الأرض كانت تحجب وراءها نوافذ غير قابلة للفتح، هنا في الطابق الثامن عشر؛ جبهة نوافذ مانعة للصوت تطل على جبهات نوافذ أخرى، على ناطحات سحاب يكاد المرء يمسك بها لشدة قربها، وعلى المروحيات التي تسبح عبر السديم (المتشكل من جزيئات أوساخ في الهواء) نهارًا وليلًا.

البيرة، نعم، كانت ما تزال قابلة للشرب حينما ألقى نظرة على ساعة يده. كان الوقت بعد الثالثة بقليل عندما هدر صوت المكيّف، وسرعان ما امتلأت كل زوايا غرفة الفندق بحفيف خفيف. شلَح فلمينغ بيد واحدة الغطاء الصوفي من كسائه القطني الرقيق وفردَه على ساقيه العاريتين، وغرق ثانية في الوسادة وزجاجة البيرة النحيلة على شعر صدره الذي يميل إلى الشيب قليلًا، فيما ذراعه الأخرى تحت رأسه. إنها ساعة الذئب، فكرَ (وابتسم ساخرًا)، ساعة الصياد الوحيد، أحلامٌ كغزوات مشربة بإحساسٍ بالذعر الغريب عنه. ولكأنه حينذاك كان معرّضًا حقًا لخطر ضربة هراوة أو طعنة حربة بندقية، بعد أن استدعى (المحافظ/العمدة

[1] Newsweek
[2] Antarctica

والهامسون في أذنيه) الحرس الوطني لتطبيق منع تجول ليلي ... سيارات جيب مملوءة بالجنود المدججين بالسلاح، ومكبرات صوت صادحة، كان هذا ... لا بد أنه كان يوم السبت، في نهاية الأسبوع قبل المذبحة.

على لاصقة الزجاجة، ضمن مساحة حمراء بيضوية الشكل، وقف طائرا بطريق متقابلين ومحاطين بسنابل تزيينية مع حروف كتابة: Cerveja Pilsen, Desde 1885. لم يلفت الأمر نظره سابقًا قط لكنه بدا معقولًا بطريقة ما عندما ارتبط ببيرةٍ اسمها القطب الجنوبي أن تحملَ رسم البطريق منذ 1885. إنها سنة المهدي، قفزت المعلومة إلى وعيه (كما استجابة لأمر)، في يناير/كانون الثاني كان المتمردون على مشارف الخرطوم. احتلوا الخرطوم وأكدوا نهاية غوردون باشا البشعة. يمكن قراءة ذلك في الكتب المدرسية وفي تواريخ السلطات. ثمة فتى في زي المدرسة الداخلية يبذل قصارى جهدِ ذاكرته أمام تلاميذ الصف المستمعين بملل ... **كانت حياته مجد إنكلترا، وكان موته مفخرتها** His life was England`s glory , his death was England`s Pride، ولم يستطع فلمينغ أن يتذكر أكثر من البيتين الأخيرين من قصيدة كيبلينغ (رغم أنه قد بذل جهده حقًا)، استحضارٌ غني بالكلمات البليغة التي لم تستطع استعادة روحٍ واحدة إلى الحياة. شرب وأغمض عينيه.

في تلك الليلة لم تكن الفرقعة عالية الصوت كما في منامه الآن، حتمًا لا، بل مثل خبطة عميقة امتصها فورًا أزيز النار العاصف وعويل صافرات الإنذار، إضافة إلى تصفيق الجموع بحماسة عندما سقط السقف على الأرض وسط شلال من الشرر. لربما سكب أحدهم بعض البنزين أو الإسبرتو من خلال النوافذ المكسرة، فخشب البراكة المتآكل من العوامل الجوية اشتعل بسرعة ثوان وهبت النار فيه، مولدة حرارة مستعرة تصفع الوجوه، فكان الموجودون يلتفتون عنها جانبًا ويرفعون أيديهم حماية لعيونهم ... هل أنت الذي، سأل نفسه (ليس وحدك بل مع بعض الآخرين)، شق خراطيم الإطفاء، وهل شاركت أليسون الجميلة أيضًا، باستنكارها المقدس للحرب ولأفاعيل الحكومة المشتراة، حسبما كانوا يقولون دائمًا؟ كل تلك الوجوه الشابة في انعكاس ألسنة النيران وأنوار الإشارات الدوارة لسيارات الشرطة والإطفاء، كانت تطلق الهتافات في وجه الدخان، وهي تسعل وتضحك، مئات (وربما أكثر) من الذين احتشدوا حول مكتب التجنيد القديم وعلى الهضبة وراءه ... تحت الأشجار على قمة الهضبة ... ومن هناك يكاد يعتقد الإنسان أن ما يحدث احتفالٌ بعيدٍ ما، أو إحدى الحفلات الصاخبة في ختام فصل دراسي، وقد أُفلت زمام الأمور قليلًا، بحيث أن الإدارة ... وكأن المبنى الرئيسي ستأكله النيران، قد وجهت طلب النجدة إلى أعلى مستوى، حيث كانوا هناك (وهذا واضح) ينتظرون

مجرد سبب، لتحريك قوات الشرطة لتلقنهم (هؤلاء الحمقى المفيدين) درسًا، لن ينسوه سريعًا، طبعًا، فكر فلمينغ، وماذا غير ذلك، أفرغ الزجاجة في فمه وأوقفها بجانب السرير.

لم يكن هناك تفسير، وما كان لأي تفسير أن يكون مقنعًا. هناك عفاريت سيئة المزاج إذن، جثمت على صدره بعد أن نام وخطفت أنفاسه، رغم أنها لا تملك أي سبب لذلك، في أي حال من الأحوال. ربما بتأثير خطأ يُحتمل أنه قد ارتكبه، قبل ثلاثين أو أربعين سنة شيء لا يُقبل له عذر ولا اعتذار، شيء يُعوَّض عنه بهذه الطريقة، بالكوابيس. لم يسبق أن أحس فلمينغ بالخوف (على حد علمه)، في حالات عصيبة تُفقِد الإنسان صوابه، كي لا نقول ذعرًا—كدائمًا عندما تتجه أضغاث الأحلام إلى الأرض مسببة اصطدامًا بالغ الإيلام.

نظر إلى عمق الغرفة. ثمة ظلال مرتسمة بأشكال غير واضحة على الستائر، مساحات سوداء واسعة تضيع حدودها في الثنايا، وهناك المقعدان المريحان والكنبة وكرسي دوّار بمسند ظهرٍ عال. كان فلمينغ قد دفع طاولة المكتب حتى واجهة النوافذ، كي لا يكون الجدار بلونه الأمغري في وجهه طوال الوقت أثناء العمل، شاشة اللابتوب، جدار، شاشة، جدار، كما في مكاتب تصحيح الطباعة. الغرفتان المحجوزتان مسبقًا في الطابق الإداري كانتا مشغولتين ... وكأنهم لا يعرفون ما يفعلون، وكأنهم لم يرسلوا له تأكيدًا لحجزه، هؤلاء الـ... لا تشتم، نبّه نفسه وسحب الغطاء إلى الأعلى قليلًا، أولئك المساكين على حواسيب الخدمات المهترئة، إسأل غدًا ثانية.

صدر صوت خفيف (مثل سهم يصيب طبلًا فارغًا)، تراجع حفيف المكيّف تدريجيًا، إلى أن لم يعد هناك سوى السكون، شعور لزج على الجلد وعلى التنفس ونبض القلب. عمليًا لا يجوز استبعاد الأمر كليًا، خطأ ... ولكن أي خطأ؟ وألا يجب دائمًا أن يوجد شخص لتسريع الأمور، شخص يستجمع أطراف شجاعته ليتخذ في اللحظة المناسبة قرارًا، لا تتبدى نتائجه إلا ... وإلا كيف يمكن لأمر ما أن يصير تاريخيًا، تاريخًا لا يُنسى من قِبل الجميع والأجيال القادمة؟

وإضافة إلى ذلك، شعر فلمينغ فجأة بإنهاكه، كان متعبًا ومعصورًا، أيام طويلة في فوضى المدينة وليالٍ ممزقة ... إنها ليست مشكلتك، وحتمًا ليس ذنبك، أنهم أطلقوا النار على الناس متعمدين ذلك، ولكن حتى لو كان، تذكرْ، أن هذا مدوّن في كتبهم، مَن يبذر الريح يحصد العاصفة، تهور فظيع لا يدّخر لحظة للتفكير بالعواقب المحتملة. ومع أقنعة الغاز والبنادق التي كانوا يحملونها عندما توجهوا نحو حرم الجامعة، كان بوسع الإنسان أن يدرك، فيختبىء، فالمزاح قد انتهى. فروع مصارف مخربة وواجهات محلات مهشمة، عراقيل وحواجز طرقية، سيارات معطوبة، وكأن هناك حقًا طبيعيًا للإخلال بالنظام العام، حقًا في التمرد بأي ثمن، لأن

(فكّرْ) الدستور قد خُرق، بل أسوأ من ذلك، انتُهِك وقُتِل مِن قِبل أعلى سلطة، حسبما جاء في الخطبة التي ألقاها أحد طلبة التاريخ على الطلاب المحتشدين، قبل أن يطمر النص (وهو نسخة ثمينة من مكتبة الجامعة) تحت مربع من عشب المرج. إنها استباحات، فكرَ فلمينغ، لا تجوز إلا في مرحلة الشباب، عندما لا يتراجع الإنسان عن أي مخاطرة ولا يتهيب من شيء ما دام يلبي الحاجة إلى العدالة ... أخ، أليسون، يا له من جنون، وأخطاء مرعبة، لم يعد بالإمكان تقويمها.

مال على جنبه وسحب ساقيه، وضع يدًا بين ركبتيه والأخرى تحت رأسه. شعرها القاتم الطويل، وعلى هذه الدرجة من الكثافة والثقل ... مثل هذا الامتلاء من الشعر الزاهي يدفع المرء إلى كبح نفسه عن تلمسه عند اللقاء. في شارع نورث ووتر وربما في سفاري ... أو ذات عصرٍ في كافيتيريا الجامعة، حيث كانت تأكل مع صديقها باري، الذي اشترى منه بضع مرات مخدرات خفيفة.

"هلا، فلِمينغ، انضم إلينا،" وأشار باري إلى صينيته، "الاشتراك في الكرَبِ يُخفِّفه."

ضحكت أليسون ومدت يدها عبر الطاولة وصافحته.

"أنا أليسون، هل أنت سيلفستر؟"

"سيلفستر لي،" قال فلمينغ، "أبواي غريبا الأطوار."

"أليسون بِث، ما رأيك بهذا؟"

"رائع."

"أليسون بِث كراوز،" قال باري ملتفتًا برأسه نحوها، بنظرة تجلى فيها اعتزازه مشوبًا بعدم تصديقٍ خجول أن بإمكان مثله أن يكسب مثلها. وكونه لن يتمكن أبدًا من امتلاك أليسون لنفسه وحده، عمّقت هذه المعرفة من حبه لها، بل (وعلى نحو فريد) لم تسمح بظهور حتى بوادر شك في مشاعرها نحوه وميلها إليه. إنهما ينتميان وأحدهما للآخر، ما دامت العلاقة مستمرة، ربما للأبد، وبنوع من التفاهم السري، من الإيقاع الداخلي المتوازن، يُمكِّن أليسون من أن تنهي الجملة التي بدأها باري للتو. نوع من التفكير السحري الذي لا يملك فلمينغ أي أثر منه، وعندما حدثه باري عنه وسأله: "أتظن أن مثل هذا الأمر موجود؟" هز رأسه موافقًا وهو يسحب نفسًا من سيجارة الحشيش، وهمهم من ثم بشيء مثل "بالتأكيد،" فما أبعده عن خدش

بنية فنتازيا أحد زبائنه؛ علمًا بأنه لم يكن زبونًا جيدًا تمامًا، فهو لا يشتري بضاعته منه بانتظام.

كانوا يلتقون بين الحين والآخر، يتبادلون القيل والقال، يتشاركون في تدخين الحشيش، وتنتقل النقود من جيب إلى آخر. وفي مارس/آذار (أكان آذار؟) ترك أليسون تقنعه بالاشتراك في مظاهرة احتجاج نظمتها بنفسها. ساروا، ترافقهم إشارات تهديد وشتائم من المشاة العابرين، ساروا عبر المدينة وراء لافتة بعرض الشارع مكتوب عليها : BRING ALL THE TROOPS HOME NOW (أعيدوا جميع القوات إلى الوطن الآن)، أليسون في الصف الأول تصفق بإيقاع معين وهي تهتف :no more war no more napalm no more Nixon ، (لا حرب بعد الآن، لا نابالم بعد الآن، لا نيكسون بعد الآن). حرب غبية ضد العدو الخطأ ... وكأن هذا لم يكن مدركًا حينها، لا شيء سوى المصادفات التي كثّفت نفسها في ضرورة واحدة. مرض دون فرصة للشفاء (حدق فلمينغ في لاصقة زجاجة القطب الجنوبي الفارغة على الأرض المفروشة بالسجاد، تأسست 1885)، ولكن بأدوية يظنها الإنسان قادرة على إطالة الحياة. أنت لا. ثمة مهام لا بد من تنفيذها بعد.

لف ذراعيه حول ساقيه المسحوبتين للأعلى وأمال رأسه إلى الأمام، إلى أن كاد شعره المحلوق قصيرًا يلامس ركبتيه. درجات تطور سابقة لا يمكن تكرارها. نقلة وراء نقلة نحو خطة موضوعة بتدبر، لا بد من إفسادها ... من منع تطبيقها، وإن استطعتم كيدوا لي وأفشلوني. ولكن ما من أحد قادر على ذلك، ليس منكم. ورغم ذلك كانت هناك هذه ... الأحلام، سلسلة غير منتظمة من صور مربكة، من أصوات تجعله كل ليلة ينتفض من نومه فزعًا. ولكأنما كان عليه فيما مضى أن يخشى الشرطة، الحرس الوطني، أناسًا آخرين والأحداث المتقلبة. إنه تمرد أو عصيان ما انطلق عقب الخطبة التلفزيونية. في ذروة وقت البث، وبعدها كان يُفترض بث مباراة فاصلة ... نعم، بكرة السلة، مجموعات المشجعين كانت في كل المقاهي والحانات متحلقة حول أجهزة التلفزيون، كان هناك ازدحام وتدافع، وكؤوس البيرة تُمرّر من فوق الرؤوس، وعُقدت مراهنات، إذًا ... لا، المباراة كانت يوم الجمعة، والمحتال أعلن غزو كمبوديا ليلة البارحة، وبقي كل شيء هادئًا ... ولكن بعد ليلة واحدة عندما تحركت الجموع من منطقة الانطلاق في شارع نورث ووتر إلى مركز المدينة مدمِّرةً في طريقها ما حولها ... السبت احترقت البرّاكة، وصلت قوات الشرطة، الأحد مُنع التجول. ثم الإثنين ...

دعني أرتب الأمور، فكرَ فلمينغ، في خلفية القاعة هناك علمان مرتخيان، طاولة مكتب على اليمين ومقعد، على اليسار خريطة للهند الصينية وعليها خطوط وسهام، إلى جانبها الرئيس

حاملًا أوراقًا بيديه وهو يميل بجسمه إلى الأمام قليلًا ويكرر الحركة، لكي يشرح للجمهور الوضع العسكري بذراعه الممدودة وسبابته المشرعة. مناطق انسحاب الفيتكونغ وممرات تسللهم، والهجوم.

كل بضع ثوانٍ تنقلب الصورة الوامضة نحو الأسفل، ثمة مَن ثبّت سلكًا (يبدو مهتزًا غير ثابت) بشريط لاصق أعلى الجهاز القديم وربما يُجدِّد الشريط اللاصق أسبوعيًا منذ عدة فصول دراسية. العلمان، طاولة المكتب، رأس وجسم الرجل، الرجل الأقوى سلطة في العالم (مَن يشك بذلك؟) كانت تلقي ظلالًا إلكترونية مضيئة، كأشباح شفافة، كما في جلسات تحضير الأرواح، هالات أثيرية لما هو مادي. دوّى عبر غرفة بيت الطلبة صوت عميق، كل كلمة كانت بمثابة لكمة على المعدة، فكرَ فلمينغ، الذي جاء بصحبة باري. أليسون كانت تجلس على سريرها إلى جانب صديقة لها اسمها سيمون، وفي حجرها كوب فخاري، سترميه فيما بعد (كانت هذه مبالغة) باتجاه شاشة التلفزيون.

"كذاب" صاحت أليسون "يا لك من كذاب،" ولكأن المرء كان يتوقع أن يسمع الحقيقة هذا المساء تحديدًا. وفلمينغ الذي كان متكئًا على إطار الباب، استل من جيب داخلي في سترته الجلدية القصيرة والبالية علبة بيرة وفتحها بأخفتِ صوت ممكن. لم نقم بهذه العملية، صدح الصوت في الغرفة الصغيرة القليلة المفروشات، بنِيةِ توسيع الحرب نحو كمبوديا، وإنما لإنهائها (تحطم الكوب على الجدار) وللتوصل إلى سلام عادل.

"كذاب أشر" قال باري، "من يصدق هذا الكلام؟"

أخذت صديقة أليسون تهز رأسها باستمرار، ثم ضحكت (عندما جاء الإعلان عن الرغبة في العودة سريعًا إلى طاولة المفاوضات)، ورفعت نظارتها ومسحت عينيها. كاد فلمينغ يشعر بالأسى لأجل الرئيس، بوقفته تلك، بألوانه الرمادية المائعة، كشبح نفسه، وهو يهز رأسه ويتلوى باستمرار عندما تنقلب الصورة، ولكن في نهاية المطاف، إذا عاينّا الأمر بتجرد، لم يجبره أحد على إلقاء الكلمة أو على إعطاء الأوامر (هل ضغط أحد مسدسًا على صدغه؟)— ليس هناك ما هو أكثر إحراجًا من اللجوء إلى اللف والدوران والتصريحات الملتوية التي يقدمها المرء لاحقًا، لأن الدور أكبر من اللاعب بكثير.

تقدم فلمينغ خطوة ليعرض البيرة على أليسون، فشربت وناولت العلبة لسيمون. كما في عرضٍ بالحركة البطيئة مال لاقط التلفزيون جانبًا (أنتيجةً لرمي الكوب؟ ما ولّد اهتزازات عبر الجدار والأرض؟)، وفجأة لم يعد على الشاشة سوى نقاط بيضاء وسوداء تغلي؛ فيما بقي صوت الإرسال يبث الإجراءات التي لابد من اتخاذها لإيقاف العدوان. ساد في القاعة صمت، أخذ

يتكثف من ثانية لأخرى، وبدا عميقًا كأنه قادم من مسافات بعيدة، من ألفي سنة ضوئية حتى أوهايو. حاول تجليس سلك اللاقط (قطعة من علاّقة ثياب سلكية)، فعادت الصورة للحظات ثم تشظت مجددًا.

"دع عنك ذلك،" قالت أليسون، "ما عدتُ أحتمل المزيد."

أحاطت سيمون علبة البيرة بكلتي يديها، فيما الدموع تسيل على خديها وهي تنظر بلا أدنى حركة إلى الجهاز، الذي لم يعد على شاشته ما يُشاهَد، لا أعلام ولا خريطة ولا رئيس. كان يُعتَقد بأن الإنسان يعيش في عصر فتنة وشغب، فالجامعات الأمريكية كانت تُدمّر على نحو منتظم. إذا (وقفة للتأثير) كانت الأمة الأكثر نفوذًا في الدنيا (هل فهمتموها؟) تتقلّب مثل عملاق عاجز (أطرش، أعمى، أعرج)، فإن هذا يشجع قوى الحكم الشمولي والفوضى على تهديد الحرية في جميع القارات (بلا أدنى شعور بالحياء).

هكذا إذن، فكرَ فلمينغ وهو يكبت ابتسامة، فيما نهضت أليسون وتوجهت نحو التلفزيون الموضوع على كومودينة الثياب وضغطت زر الإطفاء. ثم انحنت وجمعت شظايا الكوب ووضعتها إلى جانب الجهاز ورتبت شعرها البني الثقيل وراء أذنيها. نشجت سيمون بصوت خافت وضغطت رأسها بين كتفيها.

"ماذا نفعل؟" سأل باري.

وقفت أليسون في الباب وتلفتت يمينًا ويسارًا، يبدو أنها لم تكتشف أحدًا في الدهليز "فالرئيس كان مستمرًا في خطبته) لتفتح معه حديثًا، للتخفيف من ارتباكِ الذهول، للقيام بعملٍ صائب ما ضد هذا الجنون. استدارت وجلست على السرير ثم حضنت سيمون بين ذراعيها. لم يُفهم، طبعًا لا، ما همسته في أذنها، لكن سيمون هزت رأسها موافقة، مسحت بكمّ كنزتها الدموع عن خديها وأعادت النظارة إلى مكانها. كل شيء بلا جدوى. جالت نظرات فلمينغ من زاوية لأخرى على طول حاشية الجدار الأرضية، باحثة من دون إثارة انتباه أحدٍ عن فتحة تهوية أو عن لوح في خشب الأرضية قابل للرفع. لا شيء مناسب كمستودع أو كمخزن آمن (ما دامت أليسون تقيم هنا) لإخفاء رأسماله الاستثماري: بضع أكياس صغيرة مملوءة بأنواع مختلفة من المخدرات والمهيجات والمسكنات والمُهلوسات، التي لم يعد يرغب في إبقائها في غرفته المفروشة في المدينة، بعد أن سُطيَ عليها؛ أو لنقل، بعد أن وجد الطابق الأرضي في كِنْت ذات ليلة قد نُبش وفُتّش بدقة. لكنهم (بغض النظر عن هويتهم) لحسن الحظ لم يخطر في بالهم أن يلقوا نظرة سريعة على سيفون المرحاض (ها ها أذكى مخبأ في الدنيا).

جلست أليسون منحنية ساندة ذقنها على قبضتيها، ووجهها بخديه العاليين (بِودِ المرء أن يموت في سبيلهما، على حد تعبير باري) تعلوه الحيرة، لكنها من ثم (طاقة الحسم والغضب) قفزت واقفة وركضت إلى الدهليز. سُمع صوتها تنادي وسُمعت ردودٌ ازدادت علوًا، سُمعت أصوات وخطوات من الجوار تغلبت على الشعور بالشلل الذي دهمها خلال الدقائق العشرين الأخيرة، ووجدت المخرج تدريجيًا. وقفت سيمون ويداها على خصريها على طرف إحدى المجموعات التي أخذت تتدافع على سلالم الحريق وفي المصاعد وهي تناقش وسط غيوم من دخان السجائر، ماذا يجب فعله الآن: احتلال مبنى إدارة الجامعة، تحطيم برّاكة التجنيد، التجمع ظهر الغد عند ساعة حرم الجامعة. حتمًا لا بد، بلا سؤال، كانت أليسون في جوها الطبيعي تمامًا، فيما يضع باري لائحة بـ: أولًا، ثانيًا، ثالثًا ... الاتصال بمدينة بوفالو (سأتصل الآن)، إلى حيث خطّط هو وأليسون الذهاب، في الفصل الدراسي القادم كأبعد احتمال ... مغادرة كنت، مغادرة أوهايو ... صدحت موسيقا، إنها موسيقا جميلة، فكرَ فلمينغ (و تذكر)، وضعها أحدهم في غرفته ودوَّمت فوق رؤوسهم مثل دخانٍ متصاعد، وفوق الخطط التي رسموها، فوق خليطٍ متداخل من أصوات مستثارة وعناقات وضحك وقناعة بعدم جواز القبول بما قررته طغمةٌ من أصحاب النياشين العابثين فسادًا، كما في مسرح دمى رثٍ ووضيع.

أرخى فلمينغ قبضته من حول ركبتيه، انقلب على ظهره وتمطى. بوسع أنخِل تأمين حبوب للصداع الآن، ليته فعل ذلك منذ الأمس ... عندما يضطر الإنسان إلى البدء بكتابة ملاحظات على وريقات تشمل كل شيء، الزبائن، مصادر المعلومات، (رئيسا الخدمات الأمنية هذه كلاهما بعد الظهر) المبالغ المالية. اسمٌ وإلى جانبه رقم ... الأمر الذي كان سابقًا خطرًا حتى الموت، كل السجلات يجب أن تبقى في الرأس فقط ؛ صفقات عويصة، تتطلب سمعة وثقة تصادق عليهما كل حبة وكل غرام. سمك في الماء (واحدنا)، إلعب لعبتهم وأغلق فمك (هذه مهمتك).

اشتغل جهاز التكييف وعاد فانطفأ فورًا، انقلب فلمينغ على بطنه ووضع رأسه تحت الوسادة. في اليوم التالي كان جميع (المشتبهين المعهودين) قد تجمعوا عند الساعة، التي تبرع بها أحدهم وهي معلقة في أطار من القرميد الأصفر، وأُلقيت كلماتٌ ضخّمها مكبر صوت وحملها عبر كل مروج الحرم الجامعي، وفي الختام تناول أحدهم مجرافًا حفر به حفرة، قبرًا للدستور الذي فقد صلاحيته منذ الآن، وصار مكانه تحت التراب (تصفيق، تصفير). جلس كل من أليسون وباري بين الجموع على المنحدر الذي يأخذ بالارتفاع وراء سور الساعة الصغير. عندما انطلقوا إلى الاجتماع سمعها فلمينغ تقول إنه لابد من تحديد نقطة، لا بد من وضع سطر، وتهز رأسها مؤكدة دون ان تشرح ما تقصده بدقة ... سطر، نقطة،عوالم فنتازيا لا تعرف

الغوايات، إدراك ما لا يمكن تغييره. كيف، سأل نفسه، وهو يضغط الوسادة على رأسه بكلتي يديه، هل أنا هنا معهم حقًا ... و فوق ذلك هبوط المنحدر لتصليح الميكروفون؟ سلكٌ مفكوك، هناك مفك براغ صغير مع سكين الجيب، هذا رائع. عندما نفد الهواء دفع الوسادة جانبًا. لقد تقاطعت الدروب (في اللحظة الخطأ، وفي المكان الخطأ، وكأنما الحظ بضع ثوان، أمتار قليلة)، مثل جزيئات في جهاز تسريع، تتصادم ببعضها وتغير اتجاه طيرانها أو تتشظى إلى دزينة من الجزيئات الأصغر، مكونات المادة. ما يحفظه الإنسان في ذاكرته ليفسر لنفسه أحداثًا ما، (الكتلة X السرعة = طاقة)، كي لا يترك منفذًا مهما صغر للشك أو الكوابيس. ماذا كان يُحتمل، لو ... زفر بصوت عالٍ ... أن سيارات الدورية لم تظهر مساء يوم الجمعة ذاك، عندما اندفع الناس إلى الشارع بعد مباراة كرة السلة بمزاج احتفالي رغم كل شيء (خطبة الرئيس)، قُذفت الزجاجة الأولى فتكسرت على الصفيح، مزيد من الزجاجات، الكؤوس، وانطلقت الشتائم والسباب واللعنات ضد الدولة، ضد الرئيس، ثم تحولت إلى هتافات وصيحات هيستيرية لضرب تجار الحروب والبنوك وشركات التأمين ... عند تقاطع شارعين في قلب المدينة كانت تتأجج نار، وقودها القمامة ومواد البناء، وكُسرت واجهات المحلات الزجاجية، في مكتب لوساطة القروض تتراقص مخروطات ضوئية ومن واجهته المهشمة تتطاير أوراق ومصنفات وبطاقاتُ محفوظات. ثمة شاب واقف على باب سيارة مقلوبة على جنبها يهدر في الضجيج بكلمات غير مفهومة وهو يرفع ذراعيه عاليًا، محاطًا بأصوات تكسر الزجاج وصليل المعدن، إشارات الإنذار تولول بموجات طويلة وهي تقترب ... ثم انفجرت خراطيش الغاز المسيل للدموع، وانهمرت على الفوضى العارمة زخات من الطلقات، ثمة أجسام ظلّية تتحرك بسرعة كبيرة رافعة هراوات فضحها كشاف ضوئي مثبت على سيارة شرطة، فتبين أنها تهاجم الجموع (هنا ليس بوسع أحد أن يحيط بالمشهد كله، فكّر، مهما حاول)، والشعور بما يحرق في الأنف والعينين، لا يمكن مقاومته إلا بوجود مناديل مبلولة ... في بيته في الطابق الأرضي، يُنزل الستائر المعدنية، يستلقي على السرير ويرتشف ما تبقى من زجاجة جِن ماركة سيجرامز[3] (غالية جدًا). الفعل ورد الفعل، إلى حد أن لا عودة بعد ذلك. يا للأسف، أمسك فلمينغ بقضيبه ومطّه، ودلّكه، الواقع هو سلسلة من الأخطاء، من الأحداث العرَضية والقرارات العفوية، التي تثبت فيما بعد، وهذا كان غير مفهوم لغالبية البشر، أنها مقنعِة لا اعتراض عليها ... أنها الصلة الملائمة بين A وB ... ترك قضيبه وزحف على أربع إلى الهاتف. ثم تأتي C، D، E، هذه حقائق وثّقها المؤرخون. جلس على حافة السرير، دفع بأصابع قدمه زجاجة القطب الجنوبي فسقطت وتدحرجت بشكل نصف دائري على السجادة. Life and death, pride and glory (الحياة والموت، الفخر والمجد). بعد الظهر أعلن محافظ/عمدة المدينة

[3] Seagrams

حالة الطوارىء وأنذر الحرس الوطني الذي بدأ التحرك من ثكناته نحو المدينة الغارقة في تأملاتها ؛ لكنه نسي (وهذا ما ينساه الإنسان في حمأة النشاط)، أن يخبر السكان عمومًا (عبر مكبرات الصوت في الشوارع، ومخابرتين أو ثلاث مخابرات). وإلا، هل كان الناس سيضرمون النار؟

© 2016 Litrix.de